المجموعة « موت سرير رقم ١٢ » ، الا وهي **شعور المنفي المعذب الذي ينعطف الى الوراء** ، والذي تعبر عنه كافة الصور من خلال التعلق الاحادي الجانب بالماضي . اما باقي قصص المجموعة فهي تثير جانبا اخر من هذه الموضوعة : دافع **العار عند المنفي** ، اشارة لفهم اول يبعث على التساؤل : كيف يمكن محو العار ، وبالتالي شق طريق نحو المستقبل ؟

ولنتابع عرضنا للصور الاساسية الاخرى التي رسمت باقي قصص المجموعة :

في قصة « كعك على الرصيف » يتطور الشعور بالعار من خلال صورة اكثر تعقيدا: اكتشاف الحقيقة التي تختفي وراء شبكة من الاكاذيب . والقصة هذه سمة من سيرة الكاتب الذاتية ، اذ يتضح لمعلم ان احد تلاميذه قد كذب عليه ليخفي اوضاع عائلته السيئة ، مدعيا انه يعيل اسرته عوضا عن والده الميت ، ببيعه كعكا على الرصيف ، ولكن في الحقيقة ان الوالد قد اصبح مجنونا عندما شاهد المصعد وهو يقطع رأس أحد ابنائه ، ولم يكن التلميذ سوى ماسح احذية . ويكمن دافع الموضوعة الاساسية للمنفى في **الورطة التي سببتها الاكاذيب** لتغطية العار ، هذا العار الناجم عن وضع الطفل البائس ، معتبرا اياه ، وضعا منزوعا من الكرامة ، لكنه يعترف لاستاذه عند نهاية القصة : « انه لم يمت (ابوه) ، انه مجنون يدور في الشوارع نصف عار »(٤٤) .

ويقدم لنا الكاتب صورة مزدوجة تعبر عن هذه الاكاذيب في العنوان « كعك على الرصيف » ، الا وهي صورة **ماسح الاحذية** الذي يدعي انه **بائع كعك** ، بينما هو في الحقيقة يقضي كل وقته راكعا على الرصيف لمسح الاحذية .

وقصة « في جنازتي » تعطي تعبيرا واضحا عن دافع موضوعة المنفي يختلف عن غيره ، وهو **الحقد الذي يملأ قلب من ضاع** . انها حكاية مريض غير قابل للشفاء ، يكتشف ان لحبيبته عشيقا ، فيشعر انه مقطوع تماما عن عالم الاحياء : « ولكن من يستطيع ان يمنعني انا الاخر من ان احقد عليكما ، على الجميع ، وعلى نفسي ؟ من يستطيع ان يحرمني من ان اكرهكم جميعا ، واتمنى الموت لكم ، ولكل شيء ؟ القيم والمثل ؟ كلا ، انها قيمكم ومثلكم انتم ، أنتم الاصحاء ، السعداء . . . »(٤٥) . لكن دافع الحقد الذي يملأ قلب من ضاع يتضمن معنى اخر جديرا بالذكر : دافع خيانة الحبيبة الذي يتضح شيئا فشيئا ، والذي سيحتل مكانا هاما في باقي اعمال كنفاني .

ان اهمية التضامن وقت الشدة لمتابعة النضال يدفع البطل لمعاتبة حبيبته : « انت لا تعرفين كم حرمتني من وسيلتي الوحيدة التي كنت اريد فيها ان اقنع نفسي ، بأنني ما زلت استطيع ان اكون شجاعا »(٤٦) .

لا يوجد في هذه القصة تطور واضح للصورة الفنية مثلما هي عليه في القصص الاخرى ، اذ تكمن الصورة المعبرة عن هذا الحقد ، وهذا اليأس في **رسالة الوداع التي يكتبها المشرف على الموت** .

سنتطرق الآن للقصة التي حملت المجموعة اسمها « موت سرير رقم ١٢ » ، هنا تتطور موضوعة المنفي الاساسية تحت دافع **الموت الكاشف عن سر الحياة** : يأخذ أحد المرضى بمراقبة مريض اخر يحتضر ، أصله من عمان ، لا يؤثر وجوده في أحداث القصة ، فيشرع المريض — الراوي بتكوين فكرة عن حياته .

لقد تخيله كمنفي شق طريقه بشجاعة رغم العقبات العديدة ، لكن الحياة نبذته بعد اصابته بمرض فاتك . وقد تخيل ايضا في صندوقه الذي يمسك به على الدوام ثروته : « عباءة بيضاء شفافة مذهبة الاطراف . . حلق خزفي لاخته سبيكة تزين به